[م] قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: 5] وَقالَ تَعَالَى: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} [الحج: 37] وَقالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ} [آل عمران: 29].

[ش] بدأ المؤلف رحمه الله تعالى باب الإخلاص بالاستدلال ببعض الآيات الكريمة من كتاب الله تعالى والتي تتعلق جميعها بترجمة هذا الباب فبدأ بقوله تعالى من سورة البينة {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.

ففي هذه الآية يُبين الله تعالى أنّ (الإخلاص) هو أمره لجميع الأمم من أتباع الأنبياء والمُرسلين... فبعد أنّ ذكر في صدر السورة كيف كان حالُ أهلِ الكتاب والمُشركين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما هم عليه من الالتصاق بالكفر والضلال، ذمّ عليهم تفرقهم في شأن الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو المراد بقوله تعالى (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)، ثم بيّن سبحانه وبحمده أن اليهود والنصارى لم يختلفوا على النبيّ صلى الله عليه وسلم اشتباهاً في صفته أو شكاً في صدقه بل كانوا مُجتمعين عليه منتظرين لبعثته (فالحاصل لم تكن صفته تخفى عليهم) ولكن لمّا بُعث في العرب حسدوه وكفروا به فوقع الاختلاف بعد الاتفاق فمنهم من آمن ومنهم من كفر وهم الأكثرون وفي ذلك يقول تعالى{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}.

(ثم وبخهم الله على انحرافهم عن جوهر الدين: وهو إخلاص العبادة لله، فقال: وَما أُمِرُوا أي انهم تفرقوا واختلفوا، مع أنهم لم يؤمروا في جميع كتب الله إلا بعبادة الله وحده عبادةً خالصةً لا يشركون به شيئا، يخلصون العبادة لله تعالى، مائلين عن الأديان كلها إلى الإسلام، ويؤدون الصلاة على الوجه الأتم الذي أراده الله، ويؤتون الزكاة لمستحقيها عن طيب نفس كل عام، وذلك هو دين الملة القويمة) اهـ[1].

وفي آية سورة الحَج... أراد المؤلف أن يُبين للقارئ والعلم عند الله (أنّ الإخلاص هو روحُ الأعمال وأساسُها التي تنبني عليه).

فبعد أن بيّن اللهُ تعالى نعمه وعددَ آلاءَه في خلقه لبهيمة الأنعام وما يترتب عليها من منافع للمسلم في دينه ودنياه حيثُ قال تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[2]، قال بعده سبحانه وبحمده: {لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ}.

والمعنى [أي: ليس المقصود منها ذبحها فقط ولا ينال الله من لحومها ولا دمائها شيء لكونه الغني الحميد، وإنما يناله الإخلاص فيها والاحتساب والنية الصالحة ولهذا قال: {وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ} ففي هذا حث وترغيب على الإخلاص في النحر، وأن يكون القصد وجه الله وحده -لا فخر ولا رياء ولا سمعة ولا مجرد عادة- وهكذا سائر العبادات، إن لم يقترن بها الإخلاص وتقوى الله كانت كالقشور الذي لا لُب فيه، والجسد الذي لا روح فيه][3].

وفي آية سورة آل عمران... أراد المؤلف أن يُبين للقارئ أنّ اللهَ تعالى يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنَّه تعالى لا يخفى عليه خافية.

فبعد أن نهى اللهُ تعالى عباده المؤمنين عن موالاة المُشركين ومحبتهم ونصرتهم وذلك في قوله تعالى: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[4]، فقال بعدها: {قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ

---

[1] التفسير الوسيط -للزحيلي-(3/2911).

[2] والمعنى [وجعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين وأعلامه؛ لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها -أيها المتقربون-خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، فقولوا عند ذبحها: بسم الله. وتُنْحَر الإبل واقفة قد صُفَّتْ ثلاث من قوائمها وقُيِّدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلّ أكلها، فليأكل منها مقربوها تعبدًا ويُطْعِمُوا منها القانع -وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا-، والمعترَّ -الذي يسأل لحاجته-، هكذا سخَّر الله البُدْن لكم، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم]. اهـ (التفسير المُيسر)

[3] تفسير السعدي ص (538).

[4] والمعنى [ينهى الله المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء بالمحبة والنصرة من دون المؤمنين، ومَن يتولهم فقد برِئ من الله والله برِيء منه، إلا أن تكونوا ضعافًا خائفين فقد رخَّص الله لكم في مهادنتهم اتقاء لشرهم حتى تقوى شوكتكم، ويحذركم الله نفسه فاتقوه وخافوه وإلى الله وحده رجوع الخلائق للحساب والجزاء]. اهـ (التفسير المُيسر)

قال شيخ الإسلام بن تيمية: [وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} قَالَ مُجَاهِدٌ: إِلَّا مُصَانَعَةً، وَالتُّقَاةُ لَيْسَتْ بِأَنْ أَكْذِبَ وَأَقُولَ بِلِسَانِي مَا لَيْسَ فِي قَلْبِي فَإِنَّ هَذَا نِفَاقٌ، وَلَكِنْ أَفْعَلُ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا كَانَ بَيْنَ الْكُفَّارِ وَالْفُجَّارِ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَنْ يُجَاهِدَهُمْ بِيَدِهِ مَعَ عَجْزِهِ وَلَكِنْ إِنْ أَمْكَنَهُ بِلِسَانِهِ وَإِلَّا فَبِقَلْبِهِ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَكْذِبُ وَيَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، إِمَّا أَنْ يُظْهِرَ دِينَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكْتُمَهُ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يُوَافِقُهُمْ عَلَى دِينِهِمْ كُلِّهِ بَلْ غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ كَمُؤْمِنِ آلِ فِرْعَوْنَ - وَامْرَأَةِ فِرْعَوْنَ - وَهُوَ لَمْ يَكُنْ مُوَافِقًا لَهُمْ عَلَى جَمِيعِ دِينِهِمْ، وَلَا كَانَ يَكْذِبُ، وَلَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، بَلْ كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ] اهـ (منهاج السُنة النبوية 6/423-424).

اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[5] (فأخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا، ولما في السماء والأرض عموما، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله) **اهـ[6].**

<u>فالحاصل أنّ مناسبة الآيات لترجمة الباب تتلخص في...</u>

1. بيان أنّ (الإخلاص) هو أمر الله تعالى لجميع الأمم من أتباع الأنبياء والمُرسلين في جميع الشرائع.
2. بيان أنّ الإخلاص هو روحُ الأعمال وأساسُها التي تنبني عليه.
3. التحذير من أنّ اللهَ تعالى يعلم السرائر والضمائر والظواهر وأنَّه تعالى لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

---

[5] قال الإمام بن عطية في تفسيره: [قوله: والله على كل شيء قدير إعلام بأنه مع العلم ذو قدرة على كل شيء، وهذا من التهديد إذ المهدد لا يحول بينه وبين تحقيق وعيده إلا أحد أمرين: الجهل بجريمة المجرم، أو العجز عنه، فلما أعلمهم بعموم علمه، وعموم قدرته، علموا أن الله لا يفلتهم من عقابه] اهـ (التحرير والتنوير3 /222).

[6] تفسير السعدي ص (127).